طرابلس وبرقة

شهرت الحكومة الايطالية الحرب على دولتنا العلية في اوائل الشهر الماضي ظلماً في الاستيلاء على طرابلس الغرب وبرقة ووجهت اليهما اساطيلها وجيوشها واحتلت بعض المدن الساحلية فيهما فرأينا ان نكتب شيئاً عن جغرافيتهما وتاريخهما بوجه الاختصار

جغرافيتهما

طرابلس الغرب ولاية عثمانية حدها الشمالي البحر المتوسط والجنوبي الصحراء الكبرى والشرقي صحراء ليبية وبرقة اي لواء بني غازي والغربي تونس . مساحتها اربع مئة الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مليون او اكثر قليلاً

الويتها . اربعة وهي لواء طرابلس واهم مدنهِ طرابلس وزوارة على الساحل وغريان وعزيزية وهما قرب مدينة طرابلس وعلى بضعة اميال من الساحل . ولواء خُمس واهم مدنهِ خمس ولبدة ومصراطة وسرت وكلها على الساحل الى الشرق من مدينة طرابلس . ولواء الجبل الغربي وفيهِ واحة غَدَامس . ولواء فزّان وقاعدتهُ مدينة مرزوق والى الجنوب منها واحة غات وهي قضاء تابع لفزّان

جبالها . ليست كثيرة الارتفاع منها جبل نفوسة وجبل يفرين وجبل الغريان وكلها الى الجنوب من مدينة طرابلس بين خمس وواحة غدامس واعلى قمة فيها يبلغ ارتفاعها ٢٨٠٠ قدم . ومنها الجبال السوداء في شرقيها وجبال ولد حسن وغيرها

هواؤها . كثير التقلُّب فهي شديدة الحرّ في الصيف والنهار وشديدة البرد في الشتاء والليل . ومياهها قليلة فليس فيها انهار جارية واكثر شرب اهاليها من مياه الآبار والصهاريج والغدران التي تجري في فصل المطر فقط . والمطر قليل في جهاتها الجنوبية ومتوسطهُ في الجهات الشمالية من خمس عشرة الى خمس عشرة عقدة في السنة

حيواناتها . فيها من الحيوانات البرية الخنزير والضبع والثعلب وابن آوى والأروى والظبي والارنب ومن الحيوانات الاهلية الابل والخيل والبقر والضأن والمعز ومن الطيور النعام والنسر والحمام البري . والنحل فيها وفي برقة كثير جداً والعسل من صادراتهما المهمة

نباتها . النخل والسنط والطرفاء والمصطكى والمستق والزيتون والتين والتوت والخروب

والتيون والخوخ (المشمش) وتمرها اجود التمر في افريقية كلها وفيها من الحبوب القمح والشعير صادراتها · الشعير في سني الخصب والبيض والتمر والعسل والشمع والبقر والاسفنج والحناء والشيح والحلفاء والحصر المصنوعة منها · ومن صادراتها المجلوبة من اواسط افريقية العاج والذهب وريش النعام والجلود المدبوغة

سكانها · البربر ومعظمهم في الجبال وواحة فزّان وهم سكان البلاد الاصليون · والعرب وقد دخلوها بعد الفتح · والبربر المتعرّبون وهم خليط من العرب والبربر · واليهود وقد هاجروا اليها والى برقة في زمن البطالسة ويقيم بعضهم في كهوف جبل يعرف بجبل الغريان

ايراداتها ومصروفاتها · بلغ متوسط ايرادها بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠٥ مئة وخمسين الف ليرة في السنة ومتوسط ما انفق عليها مئة وسبعين الف ليرة في السنة منها مئة الف ليرة على جندبتها

اما برقة فلواء يعرف الآن بمتصرفية بني غازي بين طرابلس الغرب والقطر المصري وهي تارة مستقلة في ادارتها تخاطب الاستانة رأساً وتارة تابعة لولاية طرابلس · مساحتها ثلاثون الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مئتين وخمسين الفاً اكثرهم عرب سنوسيون وأهم مدنها بنغازي وهي قاعدتها ودرنة وهي قرضة بحرية فيها تلغراف لاسلكي[1] ترسل الاشارات منهُ الى رودس ومن مدنها المرج وتوكرا واوجلة · والى الجنوب منها واحة الكفرة وقد سميت بذلك نسبة الى قبيلة من السود كانت مقيمة فيها

اما جبالها فاكثر ارتفاعاً من جبال طرابلس وهي ابرد هواء منها وفيها غابات كثيرة تنمو فيها الاشجار التي تنمو في جبال المنطقة المعتدلة كالصنوبر والآس والبلّوط والسرو والصنوبر والعرعر والخرنوب والزيتون واللوز والتين والسفرجل والمشمش والعنب ويقال ان فيها مئتي الف شجرة من الزيتون البرّي · وقد كان يجلب منها في زمن الرومان بت يقال لهُ السلفيوم نسبوا اليهِ افعالاً عجيبة وقد جهل امرهُ الآن ولا تعرف حقيقتهُ وبت آخر اسمهُ الثافسيا ويسميهِ العرب هناك الادرياس وانا نافع ولا يزالون يتداوون بهِ · وفيها بنابيع كثيرة ومراعٍ طيبة يسرح فيها الاعراب غنمهم وماشيتهم وهي كثيرة جداً تبلغ الملايين عدّاً فلا عجب اذا قال فيها عبد الله بن عمرو بن العاص « ما اعلم منزلاً لرجل لهُ عيال اسلم ولا اعزل من برقة ولولا اموالي بالحجاز لنزلت برقة »

---

(١) وقد دمرتهُ البوارج الايطالية بعد اعلان الحرب

نبذة من تاريخ طرابلس الغرب

هي مستعمرة فينيقية قديمة العهد جدًّا انشأ الفينيقيون فيها ثلاث مدن على ساحلها وهي صبرة (Sabrata) وتعرف الآن بزوارة ولبدة (Leptis Magna) وأويا (Œa) فسماها اليونانيون طرابُلسطانا (Tripolitana) اي ذات المدن الثلاث فلما عظم شأن قرطاجنة في افريقية صارت هذه المدن تابعة لها وبقيت كذلك الى ان استولى الرومان على قرطاجنة سنة ١٤٦ قبل المسيح فوقعت في قبضتهم وصارت جزءًا من ولاية افريقية الرومانية واطلق الرومان اسم طرابلس على أويا ومعنى طرابلس باليونانية المدن الثلاث ولا تزال معروفة بهذا الاسم الى يومنا لكنها تنسب الى الغرب تمييزاً لها عن مدينة أخرى تعرف بهذا الاسم وهي طرابلس الشام

وما زالت طرابلس تابعة لدولة الرومان الى ان استولى عليها القوط في القرن الخامس للميلاد فبقيت في حوزتهم الى ان استخلصها منهم بليساريوس احد قوّاد المملكة الشرقية وكان ذلك في القرن السادس فصارت طرابلس ولاية رومانية تابعة للقسطنطينية وبقيت كذلك الى ان فتحها عمرو بن العاص عنوة سنة ٢٣ للهجرة (٦٤٣ م) . ولمّا فتح العرب افريقية اي تونس سنة ٢٧ للهجرة صارت طرابلس تابعة لعمّال الخلفاء في افريقية ولم تزل على ذلك الى ان استقل الاغالبة بافريقية اي تونس فصارت طرابلس عملاً من اعمالهم . ثم آل امرها الى العلويين اي العبيديين فلما انتقل العلويون الى مصر واتخذوها دار خلافة لهم جعلوا بني زيري الصنهاجيين عمّالهم على افريقية فكانت طرابلس من اعمالهم . ولمّا آل الملك الى المعز بن باديس الصنهاجي حدثتهُ نفسهُ ان يقطع خطبة الخلفاء العلويين في مصر فحا اسمهم من الطراز والرايات وبايع القائم ابا جعفر الخليفة العباسي ودعا لهُ على المنابر نعظم ذلك على المستنصر العلوي في مصر فوجه اليهِ بني هلال وبني سُلَيم وكانوا في صعيد مصر واعطى بعيرًا ودينارًا لكل واحد منهم وقال لهم « قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون » . وكانت احياء بني هلال جشم والاثبج ورغبة ورياح وربيعة وعدي وغيرها وامراؤها حسن بن سرحان وماضي بن مقرب وسلامة بن رزق وهو المشهور بابي زيد وذياب بن غانم وموسى بن يحيى وزيد بن زيدان وغيرهم . فاجتازوا النيل الى برقة ونزلوا بها وافتتحوا امصارها واستباحوها وضربوا المدينة الحمراء واجدابية وسرت وساروا الى طرابلس وتونس كالجراد المنتشر فحاربوا صنهاجة وزناتة وهزموهما شرّ هزيمة . واخبارهم في ذلك مشهورة وقد كان ارتحالهم من مصر سنة ٤٤١ هـ (١٠٤٩ م)

مدفن قديم في مدينة غزة

سكان كهوف في جبل عريان

وسنة ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) في زمن الحسن بن عليّ الصنهاجي صاحب افريقية سير روجار (روجر) الثاني ملك صقلية الى طرابلس اسطولاً بقيادة الاميرال جرجي بن مخائيل الانطاكي فافتتحها عنوةً بعد قتال شديد وولى عليها الامير ابا يحيى بن مطروح من قبل الملك رجار وترك الجنود فيها واخذ الزهائن من اهلها وعاد الى صقلية وكان ذلك في زمن الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق الذي الفهُ للملك رجار المذكور

وبقيت طرابلس في حوزة ملوك صقلية الى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) حين اخذ الموحدون ملوك المغرب الاقصى يتقدمون بفتوحاتهم شرقًا فانتقض ابو يحيى بن مطروح على الافرنج وثار الاهالي عليهم واحرقوهم بالنار. ولمَّا وصل الموحدون الى المهدية في تونس وقد عليهم ابن مطروح ووجوه مدينة طرابلس وسلموا اليهم مقاليد امرهم فصارت طرابلس عملاً من اعمال دولة الموحدين

ثم انتقل الملك في افريقية سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) الى بني حفص وهم فرع من الموحدين وما زال في يدهم الى سنة ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) حين جهز السلطان سليم الثاني اسطولاً كبيراً وانتزع الملك منهم ومن الاسبانيين الذين كانوا قد استولوا على جزء من البلاد

اما طرابلس فان الملك فرديناند الاسباني كان قد وجه اليها اسطولاً فتحها سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) اي قبل وقوع تونس في قبضة العثمانيين فبقيت في يد الاسبانيين الى ان تنازل عنها شارلكان سنة ١٥٢٨ مسيحية لفرسان مار يوحنا فحكمها الفرسان الى ان طردهم منها العثمانيون سنة ١٥٥٣

وتفصيل ذلك ان اهالي طرابلس ارسلوا وفداً الى القسطنطينية يستنجدون بالدولة العلية فعيّن السلطان احد الخصيان واسمهُ مراد آغا والياً عليها ووجههُ باسطول للاستيلاء على البلاد فلما وصل مراد آغا الى طرابلس وجد ان القوة التي معهُ ضعيفة فكتب الى السلطان يخبرهُ بذلك فارسل السلطان الى طرابلس اسطولاً كان متوجهاً لفتح تونس تحت قيادة سنان باشا وطورغود باشا فافتتحا طرابلس وعيّن طورغود باشا والياً عليها. وبعد ذلك ببضع سنوات وجهت الدولة اسطولاً لمحاربة مالطة فسار طورغود باشا باسطوله لمساعدتهِ فقتل في معركة جرت هناك وحملت جثتهُ الى طرابلس ودفنت فيها ولا يزال قبرهُ هناك والاهالي يكرمونهُ غاية الاكرام

وما برحت الدولة العلية ترسل الولاة الى طرابلس الى ان استقل بها احمد بك القره مانلي سنة ١٧١٤ تحت سيادة الدولة

وكان احمد بك هذا من امراء الانكشارية في تلك البلاد وقد اتصف بالفطنة وبعد النظر فاراد الوالي محمود بك التخلص منهُ بقتلهِ فانفذهُ بكتاب الى عاملهِ في قضاء الغريان على ان احمد بك حدثتهُ نفسهُ بفتح الكتاب فتحهُ واذا فيهِ امرٌ لعامل بقتلهِ حال وصولهِ فعاد فاعلمهُ واطلع شيعتهُ من الانكشارية عليهِ فهاجوا وماجوا وخلعوا محمود بك وولوا احمد بك مكانهُ وكتبوا الى الاستانة يطلبون ولايتهُ على طرابلس . واستقل احمد بك بالولاية بعد ذلك وقيل انهُ لُقّب بامير المؤمنين وبقي هذا اللقب في ذريتهِ الى ان استخلصت الدولة البلاد منهم سنة ١٨٣٥

وكانت طرابلس في ايامهم دولة بحرية قوية اشتهرت بتعدّي قرصانها على سفن الافرنج حتى بعد صيتها وعظمت هيبتها فاوقعت الرعب في قلوب الناس واضطرت الدول ان تدفع لها الجزية وتعقد معها المعاهدات لحماية سفنها . منها معاهدة عقدتها مع انكلترا سنة ١٧٥٠ من دون ان تستشير الدولة العلية ومعاهدة مع جمهورية البندقية واخرى مع جنوى . وقد جرت حروب بينها وبين كثير من هذه الحكومات منها حرب مع البندقية واخرى مع جنوى وغنمت سفنها مرة مع سفن اسوجية وكان قابليون في مصر فتوسط في الامر وخلّص الاسرى وترك السفن لطرابلس واعاد لها الجزية التي كانت تدفعها حكومة اسوج

واشتهرت طرابلس في الحرب التي وقعت بينها وبين الولايات المتحدة الاميركية وسببها ان الولايات المتحدة كانت تدفع ليوسف باشا صاحب طرابلس ٨٣٠٠٠ ريال في السنة لتأمن بذلك على سفنها فاراد يوسف باشا ان يزيد الضريبة فرفضت الولايات المتحدة التسليم بمطاليبهِ وارسلت اسطولاً لمحاربتهِ فدامت الحرب بينهُ وبينها برًّا وبحراً اربع سنوات اي من سنة ١٨٠١ الى سنة ١٨٠٥ خسرت فيها اميركا سنة ١٨٠٣ فرقاطة كبيرة اسمها فيلادلفيا واسر الطرابلسيون قبطانها وليم بايتبردج وبحّارتها كلهم

وكان للولايات المتحدة قنصل في تونس اسمهُ الجنرال وليم ايتن غضب عليهِ الباي مرة وطردهُ من بلادهِ فعاد الى اميركا واقنع حكومتهُ انها اذا اجلست احمد باشا القره مانلي على ولاية طرابلس مكان اخيهِ يوسف باشا ازداد نفوذها في المغرب . فوجهت الولايات المتحدة اسطولاً آخر الى طرابلس وعقد ايتن اتفاقاً مع احمد باشا على ان الولايات المتحدة تمدهُ بالجند والمال لمحاربة اخيهِ والاستيلاء على البلاد ونزل الاثنان في مكان يقال لهُ برج العرب على

اربعين ميلاً الى الغرب من الاسكندرية وسارا بجيش مؤلف من ٥٠ مقاتل من العرب واليونان والاميركان فوصلا الى درنة وفتحاها بمساعدة الاسطول . على ان الفاتحين لم تطل اقامتهم في المدينة كثيراً فان الاميرال ارسل امراً بالخلائها لانعقاد الصلح بين الدولتين وقد كان من شروطه ان تدفع حكومة الولايات المتحدة ستين الف ريال تفتدي بها الكابتن باينبردج ورفقائه وان تستمر على دفع الضريبة التي كانت تدفعها قبلاً وتكفل يوسف باشا على ان لا يتعرض للسفن الاميركية فيما بعد . وعاد ايتن الى اميركا فكافئتهُ حكومتهُ على هذا الفتح المبين بعشرة آلاف فدان في ولاية ماين ودفعت لهُ عشرة آلاف ريال قيمة ما انفقهُ في هذه الغزوة المباركة . وللشاعر الاميركي هوبتير قصيدة فيها اسمها درنة

اما الكبتن باينبردج فرقي بعد ذلك الى رتبة قومودور ولهُ وقائع مشهورة في الحرب التي وقعت بين الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى سنة ١٨١٢ . ومن شهدوا الحرب الطرابلسية الاميرال تشارلس ستورت وهو ايضاً من الذين ابلوا بلاءً حسناً في الحرب الانكليزية

واخذت الثورات والقلاقل تزداد في البلاد فوجهت الدولة سنة ١٨٣٥ اسطولاً كبيراً بقيادة الفريق مصطفى نجيب باشا فاستولى على المدينة بغير قتال وعادت طرابلس ولاية عثمانية . ولم يقم لبيت القرمانلي قائمة بعد ذلك

نبذة من تاريخ برقة

اطلق العرب اسم بَرْقة على ولاية رومانية كانت تعرف عند قدماء اليونان بالقيروان (Cyrenaica) نسبة الى قورينا احدى مدنها وهي غير مدينة القيروان التي مصَّرها العرب في افريقية بعد الفتح . وقد كان الجزء الشمالي منها يعرف عند اليونان بينطابلس (Pentapolis) اي المدن الخمس لانهُ كان فيهِ خمس مدن كبيرة الاولى هسبريدس وقد سماها بطلميوس الثالث هسبريدس برنيقة (Hesperides-Berenice) نسبة الى زوجتهِ برنيقة وسماها العرب برنيق وتعرف الآن ببني غازي . والثانية برقة (Barca) وتعرف الآن بالمرج وبها سميت البلاد عند العرب . والثالثة قورينا (Cyrene) وبها سميت البلاد عند اليونان ولا تزال آثارها باقية ويسميها الاعراب قرينا وهي على الجبل الاخضر وعلى مقربة منها عيون ماء يقال لاحداها عين ابلُّون قربها هيكل ابلُّون ولا تزال آثارهُ باقية . والعين والهيكل في بستان للسنوسيين لهم فيهِ زاوية . واشتهرت قورينا بمدرسة الطب التي كانت فيها وينسب اليها جماعة من الشعراء والفلاسفة منهم كاليماخس الشاعر وارسطبُس تلميذ

سقراط وزعيم القوريناليين اصحاب الفلسفة المعروفة بهذا الاسم وايراتستنيس العالم المشهور وسينيسيوس وهو من ابلغ الكتاب المسيحيين القدماء . وقد كان عدد سكانها في ابان مجدها نحو مئة الف نفس وكان لها سور طوله اربعة اميال ولا تزال آثاره باقية وحوله الوف من النواويس والقبور المحفورة في الصخور . والرابعة ابلونيا (Apollonia) وتعرف الان بمرسى سوسة . والخامسة طوخيرا ارسينوي (Teucheira-Arsinoë) وتعرف الآن بتوكرا

ونشأ فيها في زمن البطالسة مدينتان اخريان وهما بطليس (Ptolmais) وتسمَّى الآن طلمَيْثة ودرنيس زرينة (Darnis-Zarine) وتعرف الان بدرنة . وكل هذه المدن على الساحل ما عدا برقة وقوريا فانهما على بضعة اميال منهُ

واقدم هذه المدن قوريا بناها ارسطوطاليس الخيري المسمى بطُس في القرن السابع قبل المسيح وكان اول ملوكها وبقي الملك في ذريته الى سنة ٤٥٠ قبل المسيح . ثم صارت جمهورية كجمهورية سبارطة في نظامها ولمَّا وصل الاسكندر ذو القرنين الى مصر اوفد اليها رسلهُ فسلمت اليهِ مقاليد امورها . ثم صارت الى البطالسة واخذت تتقهقر في ايامهم بسبب مزاحمة مصر لها في الشرق وقرطاجنة في الغرب . ولما آل امرها الى قياصرة الرومان بعد انقراض دولة البطالسة في مصر ضمها القياصرة الى كريت وجعلوها ولاية واحدة . وثار اليهود من اهلها في زمن الامبراطور طرايانس فضربها ضربة لم يقم لها بعدها قائمة وهي الآن تكاد تكون خراباً ليس فيها الا عدد قليل من الاعراب وانكر يتيين الذين هاجروا اليها منذ بضع سنوات

وبقيت البلاد ولاية رومانية تابعة للمملكة الشرقية الى ان فتح عمرو بن العاص مصر فوجه اليها جيشاً بقيادة عقبة بن نافع الفهري فصالحهُ اهلها على الجزية وصارت برقة بعد ذلك تابعة لطرابلس وافريقية اي تونس

وذهب اليها جماعة من اهل العلم والادب منهم احمد بن عبد الله الزُّهري البرقي واخواهُ محمد وعبد الرحيم . وعليّ بن البرنيقي وغيرهم . وفي عهد السنوسية ارتحل اليها السيد محمد بن علي السنوسي صاحب الطريقة المنسوبة اليهِ سنة ١٢٥٥ هـ واقام في الجبل الاخضر ثم سافر وعاد بعد سنوات واقام في واحة جغبوب . اما حفيدهُ السيد احمد شريف فهو الآن في واحة الكفرة الى الجنوب من برقة